أطروحات جامعية

خضير جعفر - حسن السعيد

تحت هذا العنوان تقدم مؤخرا الأستاذ خضير جعفر برسالته لنيل درجة الدكتوراه و قد سبق للدكتور خضير أن تصدى لدراسة قرآنية فى مجال التفسير ايضا، اذ كانت اطروحته فى الماجستير عن(الطوسى مفسرا)باعتباره صاحب اول محاولة تفسيرية كاملة عند الشيعة، الأمامية، فيما يمثل العلامة الطباطبائى آخر محاولة تفسيرية ناضجة عند الشيعة من خلال تربّعه على سلّم النضج فى هذا الميدان، على حد تعبير كاتب الأطروحة.

أما بواعث اختيار هذا البحث دون سواه، فقد اوضحها صاحب البحث فى مقدمة الأطروحة بالأسباب التالية:

-١كون تفسير الميزان أحدث محاولة تفسيرية و ما يعنى توفرها على اسباب النضج المستفادة من محاولات تفسيرية سابقة.

-٢كون منهج تفسير القرآن بالقرآن اكمل و اصدق منهج يمكن ان يفسّر على ضوئه كتاب اللّه العزيز.

-٣كون العلامة الطباطبائى فقيها مجتهدا يمتلك الأدوات العلمية فى التفاعل مع النصوص القرآنية بما توفرت له ملكة استنباط تؤهّله لاكتشاف المعانى و المفاهيم و الأحكام.

-٤إمتلاك المفسّر لثقافة إسلامية شاملة تجعله قادرا على فهم روح الكتاب و أبعاد معانيه.

-٥منهجه العلمى فى الحوار مع من يختلف معهم، و تمتعه بالروح الموضوعية التى لا تتجاوز أطر البحث العلمى السليم.

-٦ذكره للآراء و المذاهب المختلفة، و بما يجعل الميزان دائرة معارف غنية من شأنها أن تضع القارى امام تراث السلامى ضخم، و فى اكثر من مجال، مع ملاحظة ذكره للآراء الصحيحة و تأييدها و رفضه لماسواها من افكار و نظريات لا تنسجم و الفكر الأسلامى.

*منهجيّة الأطروحة:

هنا جاءت المنهجية وفق الطريقة المعمول بها فى الأبحاث الأكاديمية. و على ضوء ذلك، جاءت الرسالة فى ثلاثة ابواب.شمل الباب الأول منها فصلين، كان اولهما حول حياة العلامة الطباطبائى و مكانته العلمية و شيوخه و تلاميذه و مؤلفاته و نسبه و اخلاقه، بينما تضمن الفصل الثانى بيانا للتطور التاريخى للتفسير و مناهجه.

اما الباب الثانى فقد كرسه الباحث للحديث حول منهج تفسير القرآن بالقرآن و الذى شمل اربعة فصول كانت على التوالى: الفصل الأول:نشأة تفسير القرآن بالقرآن.و قد ذهب الباحث الى أن منهج تفسير القرآن بالقرآن هو اول منهج تفسيرى ظهر فى دنيا الاسلام، اذ فسر اللّه سبحانه الآيات بالآيات قبل ان يفسر القرآن احد من المخلوقين، بمن فيهم رسول اللّه(ص)، و هو رأى الباحث-يتفق و المستشرقين(جولدزيهر) الذى يقول فى هذا الصدد:(من الممكن القول بأن المرحلة الأولى لتفسير القران و النواة التى بدأ بها تتركز فى القرآن نفسه و فى نصوصه نفسها)(انظر كتابه المذاهب الاسلامية فى تفسير القرآن-ج ١ ص ١.(

الفصل الثانی:التفسیر الموضوعی عند العلامۀ الطباطبائی، و المقصود به جمع الآیات القرآنیۀ التی تتحدث عن موضوع واحد، مشترکۀ فی الهدف، و ترتیبها علی حسب النزول-کلما أمکن ذلک-ثم تناولها بالشرح و التفصیل و بیان حکمۀ الشارع فی شرعه و قوانینه مع الأحاطۀ التامۀ بکل جوانب الموضوع کما ورد فی القرآن الکریم(انظر دراسات التفسیر الموضوعی للقرآن الکریم للدکتور زاهر الألمعی ص .(۷

صحیح أننا لا نستطیع تحدید فترۀ زمنیۀ لولادۀ هذا اللون من التفسیر، لو أردنا أن نؤرخ، لبدایات ظهوره، إلاّ اننا لا نعدم وجود أصل لهذا الاتجاه التفسیری فی ما الفه الأقدمون من امثال:(مقاتل بن سلیمان البلخی(ت ۱۵۰ ه)صاحب کتاب الأشباه و النظائر، و مثله کتاب ابن الجوزی(ت ۵۹۷ ه)الموسوم ب«نزهۀ الأعین و النواظر فی علم الوجوه و النظائر»...و غیرهما.(

و قدوجد السید الطباطبائی نفسه امام تجربۀ ثرّۀ غنیۀ، فی مجال التفسیر و الدراسات التفسیریۀ، لذا لم یفته هذا اللون من الأبداع، خاصۀ و أن اهتمامات مفسرنا کانت منصبۀ باتجاه صیاغۀ تفسیر القرآن معتمدا اساسا علی آیات القرآن نفسها لذلک وجد فی التفسیر الموضوعی ارضا خصبۀ للتتفتق بها عبقریته التفسیریۀ و بما ینسجم مع اتجاهه التفسیری، لذلک أدلی دلوه فی هذا المیدان و ابدع فیه ایّما ابداع، اذ التفسیر الواقعی عنده:هو التفسیر الذی ینبع من التدبر فی الآیات الکریمۀ، و ضم بعضها الی بعض (تراجع الأطروحۀ ص ۹۹).

الفصل الثالث:مبدأ السیاق عندالمفسر، و یعتبر السیاق احد اهم القرائن الحالیۀ فی فهم الکلام، و القرآن الکریم، باعتباره کلاما، فإن الأحاطۀ بسیاق آیاته و سوره تضع المفسر فی جو النص القرآنی، و تعینه علی فهم المراد مه، و الوقوف علی معانی الآیات فیه.

و قد أجمع المعنیون بعلوم القرآن علی التأکید علی أهمیۀ مراعاۀ السیاق لمعرفۀ النص القرآنی..و لهذا اهتم السید الطباطبائی بالسیاق اهتماما بالغا حیث اعتمده مبدأ مهما فی فهم النصوص القرآنیۀ و بیان مداللها و بشکل واسع، و الی الحد الذی جعله یصفه بأنه ادل دلیل لبیان المعنی و فهم المراد.

و اما الفصل الرابع:فکان منصبا حول تفسیر الآیۀ بالآیۀ و ضم الآیات لبعضها، و اعتماد المفسر علی الآیات فی حواره مع المفسرین، و فی قبول الروایات او رفضها.

و فی هذا الباب یقول صاحب الأطروحۀ: (یمکننا القول بأن العلامۀ الطباطبائی قد تفرد من بین المفسرین بأن خصص بعض آیات القرآن و اسماها(غرر الآیات)ای خصها بمیزۀ کونها مفتاحا للدخول الی بوابات المعرفۀ و المعانی التی تضمنتها الآیات الأخر، و کان غرر الآیات أصل لأخواتها الأخریات و سبیل لمعرفۀ مضامینها، اذا الیها تعود باقی الآیات، و بها ترتبط، و علی اساسها تتوضح، و هی عنده آیات نموذجیۀ و اساسیۀ فی کتاب اللّه، و بذلک یکون مفسرنا قد أضاف لأدوات التفسر اداۀ جدیدۀ، من شأنها حل العقد و الاشکالات التی بدونها قد یقع المفسر فی الخلط و التّناقض(الأطروحۀ ص ۱۶۸).

اما الباب الثالث فقد شمل فصلین:

اولهما تضمن الحدیث تطبیقات المنهج علی علوم القرآن.

بينما كان الفصـــل الثانى مبيّنا لآراء العلامة الطباطبائى بعقائد الأمامية و دفاعه عنها، و بما تعطيه الآيات القرآنية من أدلة و شواهد اثبات و تأييد.

و اختتم الباحث اطروحته بالحديث عن الخصـــائص التفســـيرية عند العلامة الطباطبائى.

و أخيرا..اذا كان لا بد من كلمةتقال فى الأطروحة، فان هناك جهدا واضحا، قد بذله الباحث، و الحق يقال، يتضح من خلال:

أ-تكامل منهجية البحث.

ب-التعمق فى الموضع و الاحاطة به.

ج-رشاقة اسلوب الباحث، و جزالة لفظه، و عذوبة بيانه(و للعلم فان الباحث أديب و شاعر معروف لدى عشّاق الأدب).

ثمة اشارات ينبغى التنويه اليها، بخصوص هذه الأطروحة و اهمها:

حاز صاحبها على الدكتوراه و بدرجة إمتياز.

تقع فى ٣٩٥ صفحة من القطع الكبير و قد طبعت اصولها على الآلة الكاتبة.

تبنت مؤسسة دار القرآن الكريم طبعها و على نفقتها الخاصة.

و باختصار شديد، كانت الأطروحة جهدا مشكورا، و عملا مأجورا..نسأله تعالى أن ينفع بها..

و أملنا كبير فى باحثينا و مثقفينا الرساليين الذين ننتظر منهم مزيدا من الخوض فى عالم القرآن الرحيب..